ونظائرها ولكن اكثر الناس لا يشعر (١) بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، و بطنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب و بين فهم القرآن . ولعمر الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم . وتناوُل القرآن لهم كتناوله لاولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « انما تُنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية » (٢) وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه، وقم فيه واقره ، ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية أو نظيره ، أو شر منه (٣) أو دونه، فينقض(٤) بذلك عرى الاسلام و يعود المعروف منكرًا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفّر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، و يبدّع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان اه

اسلام اللورد هدلي

وما قاله وكتبه في سببه

خاضت جرائد العالم في اسلام « اللورد هدلي » الانكليزي فكتب بعضها ما نص عليه كما هو على سبيل الخبر ، وزعم بعضهم إن اسلامه اسلام سياسي ليمثل المسلمين في مجلس اللوردات ! وابى بعض المتعصبين من النصارى الا ان يشوب الخبر بشوائب التلبيس وايهام القارئ ان اللورد لا يزال نصرانيا يؤمن بالثالوث ويجمع بين الضدين أو النقيضين : التوحيد والتثليث . وكأن هذا التلبيس والايهام قد استنبط من كلمة عزيت الى اللورد . وانا ننشر ما نقلته جريدة مسيحية انكليزية عن اللورد وما كتبه هو عن اسلامه فنقول :

جاء في جريدة الديلي ميل الصادرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ تحت عنوان (اسلام اللورد هدلي) ما يأتي :

اللورد هدلي هو البارون الخامس في بيته (عائلته) وقد ارتقى الى هذه الرتبة

(١) وفي نسخة لا يشعرون (٢) وفي نسخة من لم يعرف الجاهلية (٣) وفي نسخة أو أسوأ (٤) وفي نسخة فينقض . ولعله الاصل الصحيح

في يناير الماضي بعد وفاة ابن عمه. وقد اسلم هذا اللورد الآن وأعلن اسلامه في حفلة الجمعية الاسلامية بلندن، وكان هو نفسه حاضرا في وليمة الجمعية السنوية

قال في اجتماع البارحة «اني باعلان اسلامي الآن لم أحد مطلقا عما اعتقدته منذ عشرين سنة، ولما دعتني الجمعية الاسلامية لوليمتها سررت جدا لأتمكن من الذهاب اليهم واخبارهم بالتصاقي الشديد بدينهم. وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لاظهار نبذي للملاقي بالكنيسة الانكليزية التي نشأت في حجرها، كما أني لم أحفل بالرسميات في إعلان إسلامي، وان كان هو الدين الذي اتمسك به الآن

إن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم، فانك لا تسمع أحداً من المسلمين يذم أحداً من أتباع الاديان الأخرى كما تسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض، فإن المسلمين وإن كان يحزنهم عدم اهتداء الناس إلى دينهم إلا أنهم لا يحكمون على كل من خالفهم بالهلاك الابدي

إن طهارة الاسلام وسهولته وبعده عن الاهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته كانت كل هذه الاشياء أكبر ما أثر في نفسي. وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والاخلاص ما لم أر مثله بين النصارى، فان النصراني يحترم دينه عادة يوم الاحد حتى إذا ما مضى الاحد نسي دينه طول الاسبوع. وأما المسلم فبعكس ذلك، يحب دينه دائما، وسواء عنده أكان اليوم يوم الجمعة أو غيره، ولا يفتر لحظة عن التفكر في كل عمل يكون فيه عبادة الله

وأني وإن كنت اعتنقت الاسلام الا أني لازلت نصرانيا، بمعنى أني لازلت مؤمنا بالمسيح ومتبعا تعاليم المسيح، فان الاسلام يصدق بتعاليم جميع الانبياء على حد سواء فلا يفرق بين موسى والمسيح ومحمد «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» اه كلام هدلي

ثم قالت الجريدة المذكورة: إن اللورد (هدلي) هو مهندس. وفي المسابقة الرياضية التي جرت في كمبردج حاز قصب السبق في الملاكمة مثل المستر النسون وين (Allanson Winn)

﴿ لماذا أسلمت ﴾

وجاء في جريدة الأبزيرفر الأسبوعية (The Observer) في عددها الصادر في ٢٣ نوفمبر الماضي تحت عنوان (لماذا أسلمت) بقلم اللورد هدلي (Headley) ما ترجمته حرفيا: —

عقيدة الاسلام

أخذت صحف عديدة تخوض في معتقدي الديني ، ويسرني أن أرى أن جميع الانتقادات التي وجهت إليّ للآن كانت بلهجة لطيفة ، وما كان ينتظر أن الخروج عما الفه الناس واعتادوه لا يلفت الأنظار اليه ، وذلك مما يسرني . إني أحب هوايتي وموالع بالألعاب الرياضية ، ولم يكن لي في ذلك غرض لطلب الشهرة وبعد الصيت ، ولكن لو كان عملي في هذه الحالة سببا في جعل الناس كبيري المدارك سمحاء فأنا في غاية الاستعداد لأن أتحمل بكل صبر أي نوع من الاساءة والاستهزاء

أتاني في يوم كتاب من نصراني متمسك بدينه يقول لي فيه : إن الاسلام هو دين شهوات ، وإنه كان لنبيه عدة زوجات . فما أعجبها من فكرة عن الاسلام ! ! ولكنها هي الفكرة السائدة على عقول تسعة وتسعين من كل مائة بريطاني ، فانهم لا يتعبون أنفسهم في البحث عن حقائق دين يدين به مائة مليون من اخوانهم الخاضعين لهم . نبيّ العرب المقدس كان على الأخص حصورا عن الشهوات طاهراً ، فكان مخلصاً لزوجته الوحيدة خديجة التي كانت أكبر منه بخمس عشرة سنة ، وكانت أول من آمنت برسالته . وبعد موتها تزوج عائشة ثم تزوج أيضا عدة أرامل لاصحابه الذين قتلوا في الحرب لا لأنه كان له أدنى رغبة فيهن بل ليعولهن ويقوم بكفالتهن ويرفع مقامهن إلى منزلة ما كن يصلن اليها بغير ذلك . وكان عمله هذا ملتئما مع بعده عن الأنانية ومع حياته الشريفة العالية . وكان من شدة زهده في هذه الحياة أنه ما كان يملك ما يكفيه من العيش

نحن البريطانيين تعودنا أن نفخر بحبنا للانصاف والعدل ، ولكن أي ظلم أعظم من أن نحكم - كما يفعل أكثرنا - بفساد الاسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده ، بل قبل أن نفهم معنى كلمة إسلام ؟

القرآن والدعوة

من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا فيّ ، ولكن هذا الوهم لا حقيقة له ، فان اعتقادات الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيت فيه عدة سنين . أما مذاكراتي الفعلية مع المتعلمين من المسلمين في موضوع الدين فلم تبدأ الا منذ أسابيع قليلة ، ولا حاجة بي إلى القول إني ملأت سروراً حينما وجدت نظريات وتائجي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الاسلامي . وأما صديقي الخوجة كمال الدين فلم

يحاول قط أن يكون له في أقل تأثير ، ولكنه كان حقيقة كقاموس حي يفسر ويترجم لي ـ مع الصبر ـ ما لم يتضح لي من آيات القرآن . وكان سلوكه هذا مسلك المبشر الاسلامي الحقيقي الذي لا يحاول إرغام سامعيه أو التأثير فيهم . فان الدخول في الاسلام يجب ـ كما يقول القرآن ـ أن يكون بارادة الانسان الحرة وبرأيه الذاتي بدون أي وسيلة من وسائل الاكراه . وكذلك أراد عيسى أيضا حينما قال (مر ٦: ١١ وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوه من هناك ...)

إني أعرف حوادث عديدة جدا لبعض البروتستانت المتحمسين الذين يظنون أنه يجب عليهم أن يزوروا بيوت الكاثوليك ليحولوهم إلى مذهبهم ، ومثل هذا التعدي الجارح قبيح طبعا . وقد أدى في الاكثر الى إثارة الاحقاد التي نشأت عنها مشاحنات وجعلت الدين يزدرى . وإني ليحزنني أن أرى أن دعاة النصرانية قد سلكوا هذا الطريق عينه مع اخوانهم المسلمين ، ولا يمكنني أن أفهم كيف يريدون أن يدعوا الى النصرانية من هم في الحقيقة أفضل منهم نصرانية (أو قال نصارى أفضل منهم) لم أقل « نصارى أفضل منهم » جزافا فان مافي الاسلام من الخير والتسامح وسعة المدارك أقرب إلى مادعا اليه المسيح من تلك العقائد الضيقة التي أخذت بها فرق النصارى المختلفة

عقيدة اثناسيوس (١)

أذكر مثلا واحدا وهو عقيدة أثناسيوس التي تشرح الثالوث شرحا في غاية التعقيد . في هذه العقيدة ـ وهي كبيرة الاهمية جدا وتنص على احدى العقائد الاساسية للكنائس المسيحية ـ ترى جليا أنها عقيدة الجمهور وأننا إذا لم نأخذ بها نهلك هلاكا أبديا . ثم يقال لنا إنه « يجب علينا أن لا نفكر في الثالوث بغير ذلك » وبعبارة أخرى إن الاله الذي نصفه في لحظة بالرحمة والقدرة ، نصفه في اللحظة الثانية بالظلم والقسوة ، وهو ما نحاسي أن نصف بها أقسى البشر السفاكين ، فكأن الله تعالى القديم الذي فوق كل شيء يكون خاضعا لما يذهب اليه الهالك المسكين (يريد الانسان) في أمر الثالوث .

وهاك مثلا آخر من أمثلة بعدهم عن الخير : أتاني كتاب بمناسبة ميلي للاسلام يقول لي فيه كاتبه : إنني إن لم أومن بلاهوت المسيح فلا سبيل لي إلى الخلاص . أما مسألة ألوهية المسيح هذه فلم يظهر لي أنها تقرب في أهميتها من تلك المسألة الاخرى وهي : هل بلغ رسالة ربه للبشر ؟ فلو كان عندي الآن أي شك في هذه المسألة

(١) حاشية للمترجم : عاش هذا الرجل بين سنة ٢٩٦ ـ ٣٧٣ م

الاخيرة لضايقني كثيرا ، ولكني ـ ولله الحمد ـ لا أشك فيها ، وأرجو أن يكون إيماني بالمسيح وبما أوحاه الله اليه ثابتا كايمان أي مسلم أو أي نصراني به . وكما قلت من قبل مرارا إن الاسلام والنصرانية ـ التي أتى بها المسيح نفسه ـ هما توأمان لم يفرق بينهما الا الأهواء والاصطلاحات التي يحسن أن تنبذ ظهريا في هذه الأيام. يميل الناس الى الالحاد حينما يطالبون بالأخذ بعقائد جامدة لاتحتمل التسامح، وان كانوا ـ ولا شك ـ لفي شوق الى دين يذعن لحكم العقل كما يذعن للوجدان . من سمع بمسلم انقلب ملحدا ؟ يجوز أن يوجد أحوال قلائل كهذه ولكنني مع ذلك أشك في وجودها كل الشك

خوف الانتقاد

إني أعتقد أنه يوجد ألوف من الرجال والنساء الذين يدينون بالاسلام في قلوبهم، ولكن مخالفة الاجماع وخوف الانتقاد العدائي والرغبة في اجتناب كل ضيق أو تعيير يحملهم على عدم الجهر بما في قلوبهم . قد سلكت الآن نفس هذا المسلك . على أني أعلم أن كثيرا من أصدقائي وأقربائي ينظرون الي كأني روح ضالة تستحق الدعاء لها، مع أن عقيدتي الآن هي عين عقيدتي منذ عشرين سنة، ولكن جهري بها هو الذي أفقدني حسن ظنهم بي . إن الخوف هو السبب في وجود أحوال لاتحصى من الشقاء والشر في هذا العالم ، ولو اتبع الناس الصراحة في القول لقل سوء التفاهم بينهم، ولزاد احترامهم ، ولنقتبس هنا كلمة المستر (بلفور) الحكيمة وهي قوله « لاناصح أضر من الفزع إلا اليأس » ولكن أفضل أن أقول في هذه الحالة « هناك ناصح أضر وأشد خطراً من الشك أو الكفر ألا وهو الخوف »

وحيث اني قد أتيت هنا بملخص بعض الاسباب التي حملتني على اعتناق الاسلام وقد بينت أني أعتبر نفسي بهذا العمل نصرانيا أكمل بكثير مما كنت من قبل، فلذا أرجو أن يقتدي بي غيري في ذلك ، فانه خير لاشك فيه . وفيه السعادة لكل من يرى أن عملي هذا ارتقاء لا يراد به أي عداء للنصرانية الصحيحة . اه

(المنار) في كلام أخينا اللورد هدلي كلمتان جديرتان بالاعتبار (احداهما) قوله : ان الاسلام هو النصرانية التي كان عليها ودعا اليها المسيح عليه السلام . وهذا حق فان دين جميع رسل الله (عليهم السلام) واحد في اصوله وجوهره ، وانما كان بيان خاتمهم (محمد صلى الله عليه وسلم) أتم وأكمل على سنة الارتقاء في الحياة ، وقد حفظه

الله من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان . وقد سبق لحكيمنا الكبير السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى كلمة مثل كلمة اخينا اللورد هدلي . ذلك ان سائلا سأله عن سبب الدعوة الى المذهب (النيشري) المادي في الهند فقال : ان الذين أرادوا حل رابطة المسلمين في الهند دعوهم أولا الى النصرانية فلم تجح دعوتهم لان الاسلام مسيحية وزيادة ، فانه يقرر الايمان بالمسيح وبما جاء به من التوحيد والفضائل ويبطل ما زاده النصارى في دينه من الخرافات ـ أي مع زيادة في المعارف الالهية والآداب والفضائل والهدي الكامل ـ فلما خابت هذه الدعوة رأوا أن يشككوهم في الدين المطلق الخ ما قاله وقد ذكرناه بالمعنى . ولولا العصبيات المذهبية ، والاحقاد السياسية ، وسوء حال مسامي هذه الازمنة وبعدهم عن حقيقة الديانة الاسلامية ، وجهل الافرنج بها وبلغتها العربية ، ثم هذا الحجاب الذي أسدلته العلوم والاعمال المادية ، ومقت الدين الذي أثارته الخرافات الكنيسية ، وما كان قبل من قسوة السلطة البابوية ، لكان هؤلاء الافرنج أجدر الناس في هذا العصر بالاسلام ، دين العقل والعلم والحضارة والسلام ، الذي كشف ماغشي كتب الانبياء من الخرافات والأوهام ، ورفع امتيازات الاجناس والاصناف والاقوام . ودعا الناس كافة الى الاخاء والوحدة والاعتصام . ولا بد أن يجيل حقه لهم بعد احقاب ان لم يكن بعد اعوام ، وقد ظهرت بوادر ذلك بما يكتشفون في هذه الايام ، من غرائب آياته تعالى في الانفس والعقول والقوى والاجسام ، وقد قال في كتابه المجيد (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ، ألا انه بكل شيء محيط)

وأما الكلمة الثانية من كلمتي (اللورد هدلي) فمعنى إخباره بأن كثيرا من قومه مسلمون ، أي قد ظهر لهم نور الاسلام ، فانقشعت به ظلمات الاوهام ، وتلك الظلمة الوثنية ، التي غشيت تعليم المسيح النورانية ، فعلموا أن دين محمد هو دين المسيح عليهما السلام ، ولكنه غير أديان الكنائس المنسوبة الى المسيح بين انهم مسلمون في باطنهم ولكنهم يخافون ان يظهروا اسلامهم كما كان يخاف هو مدة عشرين سنة ، وانما يخافون ان يحتقرهم قومهم ، ويتمعض منهم أهلهم ، لأن تعصبهم للدين وللمذهب شديد جدا ، وان خفي هذا عن سفهاء المتفرنجين منا الذين يزعمون ان جميع الافرنج مارقون من الدين . لانهم لميلهم الى الالحاد لا ينجذبون الا الى أهله ، وقد يحملون من الكلام عليه مالا يراد به منه ، كما انهم لافتتانهم بالفسق يظنون ان جميع نساء الافرنج بغايا ، وانهم لاهمّ لهم من حياتهم

ولا اشتغال لهم الا بالشهوات البهيمية ، وسبب ذلك انهم لا يحفلون الا عن ذلك . ولو كان همّ الذين يذهبون الى أوربة منهم موجها الى علم من العلوم أو فن من الفنون أو صناعة من الصناعات ، لبدا لهم من اهتمام الافرنج به ما يحملهم على الظن بأنه لا همّ لهم في غيره. على ان في الافرنج من يهتم بافساد دين الشرقي لافساد جامعته التي يعتصم بها

هذا واننا كنا منذ ميزنا وعقلنا نسمع من أهلنا وأصحابنا أن كثيرا من نصارى بلادنا يوقنون بحقية الاسلام ولا يجترؤون على اظهار ذلك لقومهم ، ومنهم من يدخل في الاسلام ويؤدي فرائضه كلها أو بعضها في الخفاء ، حتى اتفق ذلك لبعض رؤساء الاديار ، وأخبرنا والدي رحمه الله تعالى أنه عاد فلانا القائمقام في أحد أقضية جبل لبنان في مرض موته ـ وكان صديقا له ـ فخلا به فأشهده على نفسه انه مسلم يشهد أن لا إله الا الله وان محمد رسول الله . وأذكر أنني رأيت ذلك الرجل وكنت طالب علم فسألني عن بعض الاحاديث النبوية وكان يذكر النبي (ص) بتعظيم فوق المعتاد في مجاملة أدباء النصارى للمسلمين، فحملت ذلك على المبالغة في المجاملة

وانني أعرف افراداً من فضلاء النصارى المستقلين يودون لو كان في البلاد حرية دينية يعذرهم بها أهلهم اذا هم أسلموا ، منهم من يود لو كان مسلما اعتقادا منه بأفضلية الاسلام ورجحانه على جميع الاديان ، ومنهم من يود ذلك لغرض سياسي اجتماعي وهو التمكن من التأثير في اصلاح بلاده التي يجزم بأنها لا تصلح الا اذا صلح المسلمون وجاروا الامم القوية في اسباب العزة والحضارة . وهذا الصنف كثير جدا . ولو كان للاسلام حكومة تقيم بنيانه ، وتنفذ أحكامه ، وتحمل الامة على فضائله ، وتظهر للناس حقيقة عدله وسماحته ، لرأيت الناس يدخلون فيه أفواجا ، ولكن رؤساء المسلمين هم أشد تنفيرا عن الاسلام من دعاة الاديان الاخرى ورؤسائها ، ومن كل أحد . وما هذه الاعوارض لا تدوم ، اذ وعد الله تعالى بان يظهره على الدين كله وكان الله قويا عزيزا